الصهيوني « الصغر » . فكيف ينظر الفكر الصهيوني « الحمام » الى المسألة ؟.

يعتبر أريه اليعاف أحد ممثلي هذا الميل داخل السلطة الاسرائيلية . ويقول في كتابه ان الفلسطينيين — على الرغم من الكوارث التي لحقت بهم — أو بسبب هذه الكوارث قد تحولوا الى عنصر جاسم في المنطقة ، ويعتقد انهم العامل المركزي الذي ادى الى نشوب الحروب بين العرب واسرائيل . وبعد حرب ١٩٦٧ يرى اليعاف ان الشعب الفلسطيني هو العامل الجوهري . وهو لا يعترف بأن من حق اسرائيل ان تبحث المسألة على النحو التالي : هل هنالك شعب فلسطيني ام لا ؟ ويتساءل : « من نحن لكي تقرر ذلك ». « فانهم ، أو تاريخ عشرات السنين الاخيرة ، قد حددهم كشعب خاص بين الشعوب العربية » . ويقول انه بدون الفلسطينيين ليست ثمة امكانية لاية تسوية « حتى لو حدثت معجزة ، وتم التوصل الى اتفاق مؤقت أو دائم مع الدول العربية من الجنوب والشمال والشرق ، فلن تحل قضية العرب الفلسطينيين . لن نحصل على سلام حقيقي ولن ينتهي الصراع العربي — الاسرائيلي ما لم نجد ، معهم ، حلا للقضية التي هي قضيتنا » . ويرى أريه اليعاف ان الحل هو « تنازل كل من الشعبين عن تحقيق جزء من حقه واقامة دولتين — يهودية وفلسطينية عربية — على ارض فلسطين . ولا يحدد المؤلف حدود كل من هاتين الدولتين . ولكنه يشير ان حدود اسرائيل ستكون شبيهة بالحدود التي سبقت حرب الايام الستة . أما الدولة الفلسطينية فانها ستشمل قطاع غزة وضفتي الاردن .

ولا يهمنا هنا مناقشة الحل الذي يطرحه أريه اليعاف . ان ما يلفت النظر ، في هذا المجال ، هو ان نراقب نظرة الفكر الصهيوني الى الشعب الفلسطيني وحقوقه التاريخية ، وكيفية اصطدام هذه الحقوق مع الممارسة الصهيونية .

ويبدو ان يغال عيلم — مؤلف كتاب « مدخل الى تاريخ صهيوني اخر » ينتمي الى فكر الحمام الذي يحاول تبرئة الصهيونية — كايديولوجيا وتطبيق سابق ، من « اخطاء » التطبيق اللاحق التي ترتكبها « الصقور » . وعلى هذا الاساس ، فانه يجتهد كثيرا لخلق فواصل نظرية بين الاستيلاء على فلسطين عام ١٩٤٨ — كعملية « شرعية » لتطبيق « الحق » اليهودي « الشرعي » ، وبين الاستيلاء على مزيد من المناطق عام ١٩٦٧ . انه يعترض على الاعتراف بأن الممارسة الصهيونية كانت تنطوي دائما على حتمية طرد العرب ونهب اراضيهم . انه يرفض ذلك لكي لا يقوده منطق الامور الى الموافقة على عمليات الطرد والنهب في الحاضر ، ولكي لا « تشوه » سمعة الصهيونية التي كانت جرائمها في الماضي « عدالة ». انه يبرىء الصهيونية من هذه الطبيعة ، لان التأكيد على هذه الطبيعة « سيلغي الصهيونية بين صفوف الجيل الجديد ، فاذا كانت الصهيونية دائما حركة نهب ، فما هو تفوقها على حركات النهب الاخرى في التاريخ ، عدا انها لنا ». وفي مقاله عن كتاب أريه اليعاف (دافار ٨/١٨) يدافع عن ممارسات الصهيونية في الماضي ، ضد ممارساتها في الحاضر ، ويضع آراء اليعاف في مواجهة آراء اصحاب الدعوة الى « ارض اسرائيل الكاملة » السائرين في المنطق الصهيوني حتى آخر مدى . ويقول عن كتاب اليعاف « انه ، قبل كل شيء ، تجدد للينبوع الصهيوني ومحاولة لان يعيد الينا ارض اسرائيل الصهيونية — في مواجهة « أرض اسرائيل الكاملة » — تلك الارض التي وعدنا أنفسنا بها عندما خرجت الصهيونية الى الطريق ، واشترطنا بلوغها بشرطين كبيرين : ١ — ان يقوم على هذه البلاد مجتمع نموذجي يهودي ٢ — الا ينطوي عملنا على نهب العرب » . كيف يمكن ان يقوم مجتمع يهودي نموذجي على ارض ينكتها شعب اخر دون ان تنطوي العملية على نهب ؟. ان الكاتب يحل هذه المعادلة الصعبة باجابة مضللة : « اليس هنالك فارق نوعي اخلاقي حاسم بين الاستيلاء على الاراضي بواسطة المال في فترة الحكم التركي والانتداب البريطاني وبين مصادرة الاراضي بقوة الغزو في أيامنا ؟ » !!!

ويوافق الكاتب على رأي أريه اليعاف بأن « أرض اسرائيل الكاملة » ليست هي التي ستشكل قوة الجذب والتحدي للهجرة الكبيرة ، وانما تحقيق حلم المجتمع اليهودي النموذجي ، وعلينا قبل كل شيء ان نثبت لانفسنا وللعالم ان دولة اسرائيل تستطيع ان تستوعب ثمانية ملايين مواطن يستطيعون العيش بكرامة دونما حاجة الى التوسع الى أية جهة . فاذا آمنا بذلك ، واثبتنا ذلك بالقول والعمل ، وبالتخطيط فعندها نستطيع اقناع الغرب والعالم بأننا لا نتطلع الى التوسع » .

م . د .